الشريعة

ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون

السعودية تحتفل بيومها الوطني

الشيخ الغزالي : نعم للحوار .. لا لسفك الدماء

الشيخ عبدالقادر : لهذه الأسباب أبيح التعدد للرجال فقط

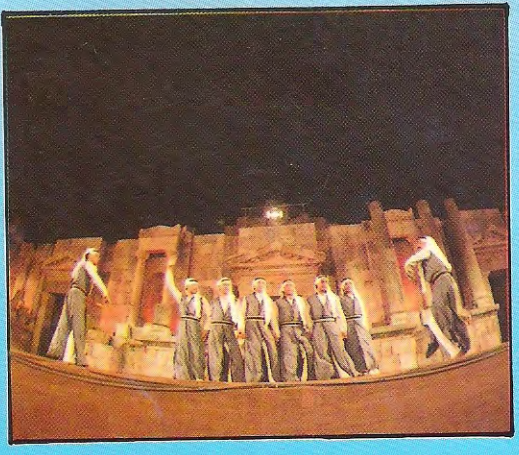

مهرجانات الرقص والطرب .. لماذا الآن ؟!

سارا .. فتاة سراييفو الملثمة !!

مفتي البقاع : باسم الإسلام .. ارفعوا أيديكم عن لبنان

السنة الثانية عشرة العدد رقم (٢٠٧) أيلول ١٩٩٥ - ربيع ثاني ١٤١٦ هـ

الإمارات ٤ دراهم، مصر ٧٥٠ مليم، اليمن ٤ ريالات، السودان ١٠٠ مليم، عُمان ٤٠٠ بيسة، ليبيا ٢٠٠ درهم، المغرب ٨ دراهم

تعدد الزوجات

لماذا أباح الإسلام تعدد الزوجات؟

لماذا تعددت زوجات النبي صلّى اللّه عليه وسلم؟

كثيراً ما نسمع هذا السؤال ضمن تيارات التشكيك والطعن في شريعتنا الإسلامية، والحقيقة أن هذا السؤال نابع من أعداء المسلمين أولاً ثم تقليد أبناء المسلمين (غير المثقفين في دينهم) لأولئك النفر.

وللإجابة علي هذا السؤال نقول للمسلمين أولاً قبل الرد على غيرهم.

إن شريعتنا الإسلامية كغيرها من الشرائع، تامر وتنهى وتبيح، فما امرت به يسمى واجباً، وما نهت عنه يسمى حراماً، وما اباحته يسمى مباحاً، لا يعاقب الإنسان بفعله أو تركه.

وتعدد الزوجات هو من الأمور المباحة التي لم توجبها الشريعة ولم تمنعها.

وإن أي تشريع لأي امة لا بد وأن يتعرض لهذا الموضوع(تعدد الزوجات) حين ينظم العلاقات الإجتماعية (قانون الأحوال الشخصية، وليس امام اي تشريع سوى واحدة من هذه الثلاث . ولننظر أيهما أفضل.

بقلم : الشيخ عبد القادر الشيخ
المرشد الديني لمديرية الدفاع المدني سابقاً

التعدد ليس واجباً

لو ان تشريعاً من التشاريع جعل تعدد الزوجات واجباً لأرهق المكلفين « اي الرجال» لأن تعدد الزوجات يكلف عبئاً مادياً وجسدياً ونفسياً لا يقدر عليه كثير من الرجال، وعليه لم يكن تعدد الزوجات عند الغالبية العظمى من الرجال، فجعل التعدد واجباً غير مناسب ولذا لم تجعله الشريعة الإسلامية ولا غيرها من الشرائع واجباً.

لو جعلنا تعدد الزوجات ممنوعاً (أي حرام) في المفهوم الشرعي لبرزت امامنا المشكلات التالية :

الزواج غير الموفق

- إذا كان الزواج غير موفق - بمعنى أن الرجل لم يحسن اختيار الزوجة في الأصل ولم يكن موفقاً فيه. وبدأ الشقاق والنزاع وتفاقمت الأمور وتعذر الإصلاح وقد انجبت الزوجة اطفالاً. فماذا نفعل؟ الطلاق مضيعة للأطفال ومأساة للأم والصبر على هذا الحال مصيبة وعذاب وقد يتعذر الصبر عند الكثيرين فما هو الحل؟ أليس الزواج الثاني هو الأفضل مع بقاء الأم الزوجة الأولى مع أطفالها وفي منزلها ولها كامل حقوقها فالرجل ملزم شرعاً بنفقتها ونفقة اولادها، وقد يكون الزواج الثاني سبباً في إصلاح كثير من الأمور كما هو مجرب في واقع الحياة.

(عقم الزوجة)

إذا كانت الزوجة عقيماً لا تنجب اطفالاً وبعد مضي سنوات وقد تبين لدى الجميع أن العقم بسببها لا بسبب الرجل وحب الانجاب ووجود الذرية غريزة فطرية في النفس البشرية، قال تعالى « المال والبنون زينة الحياة الدنيا» لأن وجود الابن إمتداد لوجود أبيه، فماذا يفعل الرجل في هذه الحال؟؟ - الطلاق إساءة ما بعدها إساءة، ومنافاة لمكارم الأخلاق والوفاء، والصبر مع الحرمان من الذرية أمر يؤرق ويؤلم في الليل والنهار ويقودنا بالتالي إلى الكره والبغضاء والشقاق بين الزوجين.

(الطاعة الجنسية)

إن الحياة الجنسية في المرأة تختلف عنها تماماً في الرجل، فالمرأة تحيض وتحمل وتلد وفي هذه الحالات يتعذر على المرأة مشاركة الزوج حياته الجنسية وهذه الحالات تطول أيامها فقد يصل حد الحيض عند البعض إلى خمسة عشر يوماً ويصل النفاس عند البعض ستين يوماً وأيام الحمل بدايته وحام وآخره ثقل وآلام . فما هو

تعدد الزوجات

لماذا أباح للرجل التعدد ولم يبحه للمرأة؟

الحل ، اللجوء إلى الحرام ومعاشرة الأخدان والخليلات لا سيما إذا كان للرجل طاقة جنسية قوية وليس كل الرجال يملك الصبر وضبط النفس، فالغريزة فطرة تغلب العقل أحياناً والكبت يولد المتاعب والحالات النفسية.

(مرض الزوجة)

قد تصاب المراة بعد الزواج بمرض جسدي أو نفسي يجعلها عاجزة عن القيام بالواجبات الزوجية، فما هو الحل عندئذ. إن طلقها فقد أساء إليها إساءة بليغة في وقت هي بأمس الحاجة إلى رعاية وعطف ومواساة. والطلاق هنا شذوذ عن مكارم الأخلاق وعدم وفاء في حق الحياة الزوجية وقطع لصلة الرحم بينه وبين أصهاره.

اليس في هذه الحالات جميعها الزواج الثاني هو الحل المناسب مع بقاء الزوجة الأولى سواء أكانت عقيمة أو مريضة او ذات حمل وولادة ومتاعب جسدية بقائها زوجة كريمة لها كامل حقوقها الإجتماعية والشرعية والرجل ملزم بها أمام الله والقضاء والناس لا سيما وشريعتنا الإسلامية تشترط على الزوج العدل والمساواة بين الأزواج وإن لم يعلم من نفسه القدرة على ذلك فقد حظر عليه الزواج والتعداد قال تعالى « فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة».

(الرجال عصب الأمة)

بقي سبب أخير وجوهري في إباحة تعدد الزوجات وإن لم يتعلق بشوائب زوجية كما ذكرنا في حالات الحروب تصبح نسبة النساء أكثر من نسبة الرجال والتاريخ خير شاهد فقد بلغت نسبة النساء ثلاثة أضعاف الرجال في المانيا بعد الحرب العالمية، وهذا ينجم عنه ما يلي :

١ ـ حاجة المجتمع الماسة إلى تعويض عدد الرجال في عصب الأمة في الحرب والسلم وأي إسلوب أفضل من تعدد الزوجات لتحقيق هذه الغاية؟؟ فلو أن كل رجل تزوج اثنتين لأصبحت نسبة التعويض الضعف وتصبح ثلاثة أضعاف لو تزوج الرجل ثلاثة نساء وهكذا.. ضمن ما صرح به الشرع الحنيف « مثنى وثلاث ورباع» فإن الشارع الحكيم سبحانه أعلم بحكمة التشريع للتعدد فهو ليس فقط متعة جسدية فحسب بل هو بالإضافة إلى ذلك وظيفة إجتماعية لحفظ بقاء النوع البشري وزيادته جاء في الحديث الشريف عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم».

٢ ـ من حصاد الحروب كثرة الأرامل والأيتام وهما صنفان مميزان في المجتمع فما أحوجهما إلى الرعاية والمواساة والتعويض وليس ثمة اسلوب أفضل من زواج هذه الأرملة ودخول أطفالها في حجر رجل مؤمن يعرف قدر وفضل رعاية اليتيم والإحسان إلى الأرملة وشريعتنا غنية بهذه النصوص التي تحض على ذلك لأنها قمة مكارم الأخلاق وما أجمل قول أبي طالب في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الشعب.

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وزواج الأرملة ورعاية أطفالها الأيتام من قبل زوج أمهم أفضل بكثير من بقائهم هكذا يدخل عليهم البر والفاجر بحجة الإحسان إليهم لاعتبارات كثيرة أهمها المحافظة على شرف الأم وسمعتها الطيبة.

(الخلاصة)

إن هذه الأمور المشار إليها مشاكل حقيقية ـ وليس فرضيات نظرية ـ تواجه أي مجتمع يمنع تعدد الزوجات ولذلك نجد المجتمعات الغربية التي تمنع تعدد الزوجات قد وقعت في المحذورات المشار إليها فهم يعاشرون عدة أزواج غير شرعيات ويمنعون تعدد الزوجات الشرعيات.

لقد كانت حكمة الله بالغة بأن يجنب المجتمع المسلم الرياني الوقوع في تلك الأخطاء وأوجد الحل الشرعي المناسب فأباح للرجل أن يتزوج أكثر من زوجة ولكن لا يزيد على أربع وترك له أن يقدر هو « أي الرجل» مدى حاجته إلى ذلك ومقدرته على تحمل المسؤولية المترتبة على هذا التعدد.

ومما يجب الإنتباه إليه، إن الإسلام لم يبح التعدد إلاّ بالشروط التالية : ـ

١ ـ الأصل عدم التعدد خشية الوقوع في الظلم وعدم العدل، قال تعالى « فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة».

٢ ـ يجب العدل بين الزوجات في المسكن والنفقة والمبيت عند كل زوجة منهن ليلة.

٣ ـ يجب أن يكون لكل زوجة منزل مستقل عن الأخرى.

٤ ـ يجب العدل بين ابنائهن جميعاً.

وأي ظلم في هذه الأمور هو ذنب يحاسب عليه رب العالمين، هذا هو موقف الإسلام من تعدد الزوجات وعلى هذه الأسس أبيح التعدد حتى لا نقع في محاذير كثيرة وقعت فيها أمم منعت التعدد.

تعدد الزوجات أم تعدد الازواج ؟

* سؤال غريب وشاذ يسأله السفهاء كثيراً، لماذا أبيح تعدد الزوجات للرجل ولم يبح تعدد الأزواج للمراة؟

والجواب : ـ إن هذا السؤال كما أشرت إليه يدل على شذوذ في العقل والسلوك ومع ذلك سنبين الحكمة من ذلك.

ـ إن الأسباب التي أبيح لأجلها تعدد الزوجات تتعلق بالنساء لا بالرجال راجع البنود السابقة ـ فالرجل لا يحمل ولا يلد ولا يحيض، وليس نسبة الرجال أكثر من النساء، والمراة ولو تزوجت عشرة رجال في آن واحد لا تحمل إلاّ بمولود

الرجال عصب الأمة في الحرب والسلم

الزواج ليس متعة جسدية

وإنما وظيفة إجتماعية

واحد.

- لمن سيكون هذا المولود ولمن ننسبه ومن المسؤول عنه من حيث التربية والنفقة وهي واجبة على الأب في شريعتنا.

- إن ذلك الشطط يؤدي إلى إختلاط الأنساب لا يعرف الأب إبنه ولا يعرف الولد من أبوه كما هو الحال في الأسر الغربية، ولم نعرف شريعة من الشرائع ولا قيماً إنسانية سليمة ترضى بذلك.

- من حق المرأة في الإسلام إذا لم تكن موفقة مع زوجها أن تطلب الطلاق الشرعي والواقع في مجتمعاتنا وما يدور في المحاكم الشرعية خير دليل على ذلك وفي الختام فإن تعدد الزوجات ميزة من مميزات شريعتنا والحمد لله وليس مطعن فيها أو ثغرة لو علم الناس حكمته.

وليست الشريعة مسؤولة عن المخالفين ولا الشاذّين عن تلك الأسس التي أشرنا إليها في تعدد الزوجات.

ولا عن الوقوع في الرذائل المقتبسة من الأمم الأخرى مع إباحة الإسلام تعدد الزوجات لمنعها . فالعاقل المنصف يعرف أن المخالفين للقوانين لا يمتثلونها فالإسلام بتشاريعه شيء وسلوك المسلمين المخالفين شيء آخر.

فإن وجد نقص فهو في سلوك المسلمين لا في التشريع الإسلامي.

(أزواج الرسول صلّى اللّه عليه وسلم)

ولنتحدث عن أزواج الرسول صلى اللّه عيه وسلم.. فقد وضع العلماء في ذلك موسوعات وأفردوا لها مجلدات، حيث الحديث المفصل المتكامل عن ثلاث عشرة زوجة يجمعهن بيت النبوة في ظروف متغايرة وغايتنا من الحديث في هذا البحث بعجالة غير مخلة ولا إطالة مملة حول ثلاث نقاط فقط هي:

- لماذا تجاوز عدد أزواج النبي الأربع وهو ما شرع لأمته؟؟

- كيف تزوج النبي صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة رضي الله عنها وهي في التاسعة من العمر؟؟

- هل كان زواجه صلى الله عليه وسلم بذلك العدد بدافع الشهوة وحب النساء؟؟

هذه النقاط الثلاث أبرز ما يثيره أعداء الإسلام طعناً وتشكيكاً ثم تلّدهم بعض أبناء المسلمين « غير المثقفين في دينهم».

من خلال هذه النقاط يحاول أعداء الإسلام تصوير النبي صلى اللّه عليه وسلم أمام أتباعه من المسلمين، إنه رجل شهوة ونساء، أكثر منهن، وميز نفسه عن أتباعه بأن حدد لهم الزواج بأربع فقط ولكنه تزوج ثلاث عشرة إمرأة حيث توفى عن تسع منهن.!!

ونحن كما أسلفنا يعنينا في الحديث والتوجيه « المسلم فقط لأن جهله مسؤولية في أعناق أهل العلم إن لم يبينوا له، أما أهل الكفر والذين طال الحوار معهم قديماً وحديثاً خلال أربعة عشر قوناً فيكفينا أن نقول « لكم دينكم ولي دين» فإلى كل مسلم يعتقد انه (لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه) أقول :

- إن زواج النبي صلى اللّه عليه وسلم بأكثر من أربع، ثابت في كتاب اللّه عز وجل تأييداً وإقراراً لا إنكار فيه - تشريعاً وإضحاً لا مجاملة فيه.

فإن اللّه سبحانه الذي لم يجامل نبيه صلى اللّه عليه وسلم في مواطن اقل من هذه خطورة، لم يكن ليجامله في مثل هذا الموطن من التشريع الواضح والتام الذي يربك أمته فهماً وإتباعاً لو لم يكن مؤيداً بوحي مفصل، فالقرآن - الذي جاء يقول للنبي صلى الله عليه وسلم : -

« عبسَ وتولى إن جاءه الأعمى..»

« عفا اللّه عنك لم أذنت لهم..»

ما كان لنبي أن يكون له أسرى..»

إلى آخر ما هنالك من آيات كثيرة يوجه اللّه فيها نبيه ويعاتبه - لم يكن ليسكت عنه لو تجاوز ما أباح اللّه له في تعدد أزواجه.

ومن هنا تدرك أيها المسلم العاقل (حين تعلم أن اللّه سبحانه وتعالى هو الذي أمر نبيه صلى اللّه عليه وسلم بصريح القرآن أن يتزوج إبنة عمته زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة وهي الزوجة السابعة في تعداد زوجاته صلى اللّه عليه وسلم ورضي اللّه عنهن أجمعين ليبطل بزواجها حكم التبني في الإسلام وقد تم الزواج بصريح الآية القرآنية مبينة الحكم والهدف « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر اللّه مفعولاً » (الآية ٣٧/ الأحزاب).

تدرك بعد ذلك أن النبي صلى اللّه عليه وسلم لم يتزوج أكثر من أربعة بمحض إختياره وحباً في الزواج . ولكنه كان ينفذ أوامر ربه ليشرع لأمته تشريعاً عملياً هو أحق الناس وأولاهم بتحمل مسؤولياته لأنه القدوة الحسنة لهم.

(زواجه من عائشة)

- أما زواجه صلى اللّه عليه وسلم بعائشة الصديقة إبنة الصديق رضي اللّه عنها وعن أبيها فهو أمر طبيعي ومألوف لا لبس فيه موافق للتشريع والعرف . وإليك بيان ذلك : -

أ - لم يرد في نص القرآن الكريم ما يعيب أو يلمز هذا الزواج الذي بدأ في مكة وعائشة في السادسة من العمر وتم وأنجز في دار الهجرة وقد بلغت السيدة عائشة التاسعة من عمرها والقرآن يتنزل مكية ومدنية لم يتعرض لهذا الزواج بوجه من الأوجه.

ب - تم الزواج في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة السيدة خديجة بشهرين أي في وقت كانت فيه قريش أشد ما

لماذا تجاوز عدد أزواج النبي الأربع؟

الأصل في التشريع عدم التعدد

خشية الوقوع في الظلم

تكون عداوةً وإيذاء لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ؟ لم يترك خصومه الإلداء سبيلاً للطعن عليه إلاّ سلكوه، ولو كان زوراً وبهتاناً وإفتراءً. ومع ذلك لم يجد واحداً منهم، منفذاً للطعن والتجريح في هذا الزواج.

فلم تكن عائشة أول صبية تزف في تلك البيئة إلى رجل في سن أبيها ولن تكون كذلك آخرهن؟ فقد كان مثل هذا الزواج أمراً طبيعياً عند العرب فها هو جد النبي صلى اللّه عليه وسلم(عبد المطلب) شيخ مكة وزعيمها يتزوج من (هالة) بنت عم «آمنة» في اليوم الذي تزوج فيه عبداللّه أصغر أبنائه، من ترب هالة آمنة بنت وهب».

أما آمنة بنت وهب فقد ولدت لعبد اللّه سيدنا محمد رسول صلى اللّه عليه و سلم ».

وأما هالة بنت عمها فقد ولدت لشيخ مكة عبدالمطلب كلاً من حمزة وحجل والمقوم وصفية» ولو لم تكن (هالة) هذه حديثة سن ما أنجبت لشيخ مكة هذه الذرية وهو لم يعش بعد هذا الزواج سوى ثماني سنوات فقط حيث توفى والنبي صلى اللّه عليه وسلم في كفالته لم يجاوز الثامنة من عمره صلى اللّه عليه وسلم.

ومن بعد فقد تزوج « عمر بن الخطاب» من بنت علي بن ابي طالب وهو في سن فوق سن أبيها بكثير ويعرض « عمر» على أبي بكر أن يتزوج إبنته الشابة «حفصة» وبينهما من فارق السن مثل الذي بين الرسول صلى اللّه عليه وسلم وعائشة.

لكن نفراً من المستشرقين يأتون بعد نحو ألف وأربعمائة عام من ذلك الزواج فيهدرون فروق العصر والبيئة ليقيسوا بعين الهوى ذلك الزواج وأمثاله عندنا بما يحدث عندهم حيث لا تتزوج الفتاة قبل سن الخامسة والعشرين، وهي سن تعتبر في وقتنا هذا جدّ متاخرة بل غير مرغوب فيها في الجزيرة العربية وريف مصر وأكثر مناطق الشرق.

جـ بقي أن تعرف أيها المسلم أن هذا الزواج بهذه الصورة من السيدة عائشة قد تم بأمر من اللّه عز وجل بوساطة جبريل وإليك النص في ذلك:

بوّب البخاري في صحيحه في كتاب النكاح فقال رحمه الله : باب النظر إلى المرأة قبل الزواج ثم روى بسنده الحديث ولفظه : ـ قال النبي صلى اللّه عليه وسلم لعائشة: «رأيتُكِ في المنام يجيء بك الملك في نزقة، من حرير فقال لي : هذه إمرأتك. فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنتِ هي : فقلت : إن يك هذا من عند اللّه يمضيه» فتزوجها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بمكة وهي بنت ست سنين بعد وفاة أم المؤمنين خديجة رضي اللّه عنها بشهرين ثم بنى بها في المدينة المنورة وهي بنت تسع سنين.

وذلك في شوال من السنة الأولى من هجرته صلى اللّه عليه وسلم، ولم ينكح بكراً غيرها ولبثت معه تسع سنين، وتوفي عنها وهي بنت ثمان عشرة. ثم توفيت رضي اللّه عنها سنة ثمان وخمسين من الهجرة في السابع عشر من رمضان ودفنت بالبقيع.

وعندما اختارها اللّه تعالى لنبيه صلى اللّه عليه وسلم في مقتبل عمرها تتوقد ذكاء وصفاء لتكون صفحة بيضاء ينقش في عقلها من علم النبوة ما شاء حفظاً لهذا الدين وسنّة نبيه الكريم من شؤونه في بيته وأحواله مع زوجاته مما لا يطلع عليه غير نسائه صلى اللّه عليه وسلم ثم ينقلن ذلك للأمة وقد كانت الصديقة عائشة رضي اللّه عنها أجلّهن في ذلك فعدّت من الصحابة المكثرين من الحديث وهم لم يجاوزوا السبعة.

فقد روت رضي اللّه عنها عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم « ألفي حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث جمعها البخاري ومسلم باتفاق وإنفراد أحياناً وأكثر ما روته في الأحكام ولذلك يقال انها نقلت إلى الأمة ربع الشريعة.

(هل زواجه كان بدافع الشهوة)

ـ النقطة الأخيرة في هذا البحث، وهي الإطار العام والجوهر الرئيسي لكل ما تقدم ، هل كان تعدد أزواجه صلى اللّه عليه وسلم بدافع الشهوة وحب النساء ؟! وهذا أمر لا نحتاج في إيضاحه إلى نصوص شرعية على الإطلاق إذ يكفي فيه بيان الواقع لحياة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الزوجية ليحكم عليها كل عاقل منصف مسلم وغير مسلم من خلال ذكر هذه النقاط:

أ ـ كان أول زواج له صلى اللّه عليه وسلم من السيدة خديجة بنت خويلد رضي اللّه عنها إذ كانت أرملة لزوجين من قريش وقد بلغت الأربعين من عمرها، وهو ما زال صلى اللّه عليه وسلم في الخامسة والعشرين من العمر وقبل نزول الوحي بخمسة عشر عاماً ولم ينكح عليها غيرها حتى ماتت عن خمسة وستين عاماً فاكتفى بها وحدها مدة خمسة وعشرين عاماً مع أن العرف والعادة في مجتمع مكة لا تمنع التعدد بل هو عادة مستحبة وميزة كريمة لدى قومه لا سيما وهم سادة مكة من قريش وهو ابن سيدهم عبد المطلب الذي كان له خمس زوجات.

ب ـ لم تنجب له السيدة خديجة خلال العشر سنوات الأولى من الزواج سوى أربع بنات هن « زينت ورقية وأم كلثوم وفاطمة» وهذا في مجتمع كان يندُّ البنات ويتفاخر بالبنين ومن أجله كان عندهم حب الإكثار من الزوجات، ومع ذلك لم يتزوج النبي صلى اللّه عليه وسلم بغير خديجة ورضي بها وقرت عينه ببناتها وأكرمهن حتى رزق معهن (ومن خديجة نفسها) بغلامين « القاسم وعبدالله ماتا صغيرين في سن الرضاع.

هذا بعض من كل، وغيض من فيض للرد على أولئك المشككين الذين لا يتركون فرصة للنيل من شريعتنا إلاّ وطعنوا في أدمغة شبابنا غير المحصن في دينه وغير المثقف في سيرة نبيّه، فلا يستطيع الدفاع عن دينه أمام هجماتهم الحاقدة على الإسلام والمسلمين.

الاّ هل بلغت اللّهم فاشهد.